حركات التغيير العربية
دراسة في أهم أسبابها ونتائجها

ا.م.د.عادل محمد حسن العليّان
جامعة سامراء- كلية التربية- قسم التاريخ

المقدمة

شهدت منطقة الشرق الأوسط ومنطقتنا العربية منها تحديداً ، وعلى غير المتوقع حركات تغيير ثورية ضد أنظمة الحكم الشمولية الاستبدادية في أكثر من بلد عربي ، بدءاً بتونس وصولاً إلى سوريا (التي لا يزال شعبها ثائراً بوجه الاستبداد والدكتاتورية) حتى لحظة كتابة هذه السطور (آذار-٢٠١٢) .

لم تأت حركات التغيير في منطقتنا العربية اعتباطاً ، وإنما جاءت كنتيجة حتمية لبعض من أخطر التحولات التي عصفت بالمنطقة والعالم ، لعل في مقدمتها الغزو الأمريكي – البريطاني للعراق وإحتلاله في التاسع من نيسان ٢٠٠٣، وما ترتب على ذلك الأمر من أحداث مؤثرة في عقلية ونفسية المواطن العربي الذي شعر بعودة الاستعمار مجدداً إلى أراضي العرب ، بعد أن كان الأخيرين قد تخلصوا من هذه الفترة المظلمة لعشرات السنين الماضية ، فضلاً عن أن المتغيرات الجوهرية التي شهدتها وتشهدها المنطقة حالياً قد جاءت لتشكل رؤية واضحة المعالم تجاه نظم حكمها الفردية الشمولية ، ولكي تثور بوجه الأيام والأشهر والسنين الطوال التي قضتها تلك المجتمعات وهي تأن تحت ضربات تلك الأنظمة القاسية والمميتة ، إذ لا حريات ولا حقوق إنسان ولا رفاهية اقتصادية ، ولا تعددية سياسية أمكن من خلالها مشاركة جميع أطياف الشعب العربي في إدارة شؤون السلطة .. كما شكلت حركات التغيير أيضاً بروز منعطف خطير للغاية تمثل في توفر الفرصة المناسبة لتدخل غربي استعماري واسع النطاق في شؤون منطقتنا العربية ، الأمر الذي سيلقي حتماً بضلاله القاتمة على مستقبل حركات التغيير وسياساتها الخارجية وإدارة شؤونها الداخلية وهذا ما نلحظه في (ليبيا) ، على سبيل المثال لا الحصر ، حتى اللحظة ، إذ تتسارع دول الاستعمار الجديد نحو تقاسم حصص النفط في هذا البلد الذي تُرك ليواجه مصيره من خلال عمليات اقتتال داخلي لا يمكن معرفة مداه ونتائجه على المدى المنظور القريب .

ISSN : 1813-6798

وبسبب احتلال العراق ، وسقوط آخر معاقل الممانعة القومية والعربية في المنطقة ، وتزايد عمليات الكبت السياسي والاجتماعي والاقتصادي من قبل أنظمة الحكم العربية تجاه شعوبها ، اندلعت حركات تغيير ثورية سميت بـ ((الربيع العربي)) ، لتطيح ببعض من أعتى وأشد أنظمة الحكم دكتاتورية وشمولية في المنطقة ، ولتلغي نظام الحزب الحاكم الواحد ، فأهتزت بذلك عروش وانهارت ، وأخرى لا تزال تنتظر دورها ، ومثالنا الحي على ذلك ما يحصل داخل الأراضي السورية ، بالرغم من المساومات الدولية والإقليمية التي تجري في الآن على حساب أمنيات وتطلعات الشعب العربي السوري.

يهدف هذا البحث الموجز إلى دراسة واقع حركات التغيير العربية من حيث طبيعة أهدافها ، وما تمخض عن نتائجها على المدى المنظور القريب وانعكاساتها على واقع الحياة المجتمعية في بلدان ((الربيع العربي)) ذاته ، وبقية المناطق العربية الأخرى التي تترقب وتنتظر ما ستؤول إليه مجريات الأحداث التي تدور رحاها في واحدة من أهم وأخطر بقاع الأرض.

- **الأحوال السياسية والإقتصادية للمنطقة العربية قبل اندلاع حركات التغيير** :

أدت المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) إلى بروز أنظمة الحكم الدكتاتورية الشمولية ، والتي استمدت دعمها السياسي والعسكري من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحديداً إبان حقبة خمسينات وستينات القرن العشرين [١] . وكان هدف الإدارات الأمريكية المتعاقبة على حكم البيت الأبيض منذ ذلك الحين ، هو إطلاق يدها في منطقة الشرق الأوسط اقتصادياً وعسكرياً واستراتيجياً [٢] ، فضلاً عن محاولاتها المتكررة لدرء خطر التقدم الشيوعي المتمثل بالإتحاد السوفيتي صوب هذه المنطقة الحيوية والحساسة من العالم [٣] .

لقد كانت الأنظمة الفردية الشمولية التي برزت الى حيز الوجود إبان تلك المرحلة هي أحد أهم إفرازاتها الطبيعية ، وعُدّت الدكتاتوريات العسكرية من أهمها على الإطلاق ، كونها هيمنت على مجريات الأحداث في البلدان العربية من خلال سلسلة من الإنقلابات العسكرية المتتالية ، بالإنقلاب والإنقلاب المضاد .. وقد تجسدت بأوضح صورها ومعانيها في مصر واليمن وسوريا والعراق ، فضلاً عن أماكن أخرى من العالم العربي [٤] ، وكانت السمة الغالبة لهذه الإنقلابات ، هي أن يد الغرب واضحة فيها ، وان دعماً أمريكياً واضح المعالم كان موجوداً في ثناياها ، وما بعدها [٥] .

وهنا لابد لنا من الإشارة الى مسألة غاية في الأهمية ، وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد حدّدت سياستها ، ومنذ سنة ١٩٤٧ ، بإحداث تغييرات جوهرية في بنية الشرق الأوسط والمنطقة العربية تحديداً، تمهيداً لقيام " الدولة " اليهودية على التراب العربي في فلسطين،وما يترتب على ذلك من جملة مواضيع خطيرة على مستقبل المجتمعات العربية ، لابد للمسؤولين على إدارة البيت الأبيض من الوقوف موقف المسؤول منها ، وهي الحفاظ عن أمن الكيان الجديد المزمع إنشائه في قلب البلاد العربية .

استمرت الأحوال السياسية والاقتصادية في حالة من المد والجزر منذ خمسينات القرن العشرين ، وبالتزامن مع بداية تبلور وتشكيل ما عرف – آنذاك – بصفحة التكتلات الإقليمية والدولية ذات الطابع العسكري ، والتي شكلت حلبة الصراع الآيديولوجي مابين التوجه الغربي الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيون ، ومابين الفكر الشيوعي الإشتراكي الذي مثّله الإتحاد السوفيتي (السابق) وحلفائه من دول الكتلة الشرقية [٦] .

ومثلها مثل مرحلة الخمسينات ، لم تخلو ستينات القرن المنصرم من حدوث موجة من الإنقلابات العسكرية ،سواء في البلدان العربية أو في البلدان الإسلامية ، كما حصل في تركيا عند بداية حدوث أول

انقلاب عسكري في تاريخ الدولة التركية الحديثة وذلك في سنة ١٩٦٠[٧] .. وشهد العراق لوحده انقلابين ، كان الأول سنة ١٩٦٣ والثاني سنة ١٩٦٨ ، وهذا الأخير استمر رجالاته في الحكم حتى خلعتهم القوات الأمريكية الغازية للعراق عنوةً يوم التاسع من نيسان ٢٠٠٣ [٨] .. وفي سوريا أيضا حدث انقلابين ، كان الأول سنة ١٩٦٣[٩] والثاني سنة ١٩٧٠ فيما عرف – آنذاك – بالحركة التصحيحية ، والتي لا تزال تمسك بحكم سوريا بالحديد والنار .. أما في مصر فقد ورّث انقلاب تموز / يوليو ١٩٥٢ الذي قاده تنظيم الضباط الأحرار [١٠]المؤسسة العسكرية في مصر تركاته الثقيلة منذ سنة ١٩٧٠ مروراً بسنة ١٩٨١ لحظة اغتيال الرئيس المصري أنور السادات ، وصولاً الى مرحلة محمد حسني مبارك ، الذي أطاح به الشعب المصري مؤخراً ضمن حركات التغيير العربية أو ماتم تسميتها بـ " الربيع العربي " [١١] ، والتي لا يزال الجيش ممسكاً بزمام الأمور في ذلك البلد لحظة كتابة هذه السطور [١٢] .

وفي هذه الأثناء ، لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها العليا ببعيدة عن مجريات تلك الأحداث ، فمنذ عقد السبعينات من القرن الماضي للسياسة الأمريكية أهداف ومصالح حيوية واستراتيجية تجاه منطقة الخليج العربي ، وإن أمر تحقيقها أصبح مرتبطاً بصميم الأمن القومي الأمريكي [١٣]،ولقد تزايدت الأهمية الإستراتيجية للمنطقة إبان مرحلة الحرب الباردة ، إذ تفاقمت المخاوف العربية من احتمالات غزو سوفيتي لمنطقتهم، تستهدف الوصول الى مصادر الطاقة والمياه الدافئة ، لذلك اكتسبت المنطقة منذ ذلك الوقت أهمية قصوى في استراتيجية كل من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية حتى أصبحت عاملاً محورياً في كافة خططهما وتحركاتهما على الساحة الدولية وذلك لما تتمتع به المنطقة العربية من قيمة استراتيجية وجيوبوليتيكية واقتصادية متميزة ، وبالصورة التي تجعلها ركيزة من ركائز التوازن الدولي [١٤] .

ومما تقدم ، أردنا التأكيد على أن تلك السياسات والمفاهيم التي أشرنا إليها، والتحولات التي طرأت عليها قد هيأت جيلاً ثورياً مفعماً بمشاعر الكراهية والمقت الشديد لأنظمته الشمولية العتيدة ، والتي عفا عليها الزمن ، وتراكم فوقها تراب الأيام والأشهر والسنين الطوال ، الأنظمة عديمة الفائدة والجدوى ، والأنظمة المستهلكة التي لا تنتج ، الأنظمة التي "تعفنت " [١٥] ، ونأت بنفسها الى الزوايا المظلمة على أمل الإمساك بكرسي السلطة لأطول مدة ممكنة من الزمن ، لكن حدث ما ليس في الحسبان ..؟!

ويشير جواد البشيتي إلى أن الشعوب العربية كانت ((تلعن وتذم حكوماتها ودولها لتفريطها في الحقوق والمصالح الاقتصادية للأمة،وكان " النفط " خير دليل على هذا التفريط ، فهذه السلعة الإستراتيجية كنا نبيعها للغرب (على عدائه لحقوقنا القومية والديمقراطية) بثمن بخس (بمعيار غير معيار العرض والطلب في السوق) ...)) [١٦] .

وشكلت عملية بقاء النفط رخيصاً دليلاً واضحاً وشرطاً أساسياً يتمثل في بقاء الحكومات التي لا تمثل شعوبها بأي شكل من الأشكال[١٧].

وبعد عقود من السكون والجمود ، وبعد أن فشلت نظم الحكم العربية عن إجراء عمليات الإصلاح السياسي والديمقراطي وتحديد أُطر العلاقة الصحيحة بين الحاكم والمحكوم ، والتأسيس لدولة المواطنة [١٨] ،

وعلى غير المتوقع اندلعت في أكثر من بلد عربي حركات شعبية عارمة،عرفت بثورات ((الربيع العربي)) تمكنت من إسقاط أنظمة وهز عروش أخرى ، مخلفةً واقعاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً جديداً ، جاء نتيجة لتراكم مسببات عديدة ، المواضيع التي سنتطرق لها في الصفحات القادمة.

أسباب قيام حركات التغيير العربية :

أولاً : غزو العراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير :

يذكر رياض نجيب الريس بأن لابد لأي قارئ جيد للتاريخ العربي المعاصر من أن يدرك أن هناك ثلاثة أيام مفصلية غيّرت في اتجاه الحياة السياسية العربية ، وفرضت على الأرض العربية واقعاً جديداً حمل معه تضاريس جغرافية – سياسية ، هي عكس تطلعات وأماني الشعوب العربية وأحلامهم القومية ، سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية . ولقد غيرت هذه الأيام الثلاثة مجرى التاريخ العربي كله ، الذي لم يكن يتصور أحد أنه ممكن ؛ وتمثل اليوم الأول في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ ، يوم إعلان وعد بلفور ، الذي أعطى لليهود وطناً لهم في فلسطين .. والحدث الثاني هو يوم الثاني من آب ١٩٩٠، اليوم الذي غزا فيه العراق الكويت عنوةً ، وأقدم على إحتلالها وضمها بإسم " المحافظة العراقية التاسعة عشر" .. وجاء اليوم الثالث في العشرين من آذار ٢٠٠٣، الذي بدأت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فيه حربهما ضد العراق ، حتى سقوط بغداد المريب وإنهيار نظام صدام حسين [١٩] .

لقد وضع المخطط الأمريكي لتثبيت الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط [٢٠] والعالم العربي وإعادة رسم خارطة المنطقة وترتيب أوضاع جديدة في العالمين العربي والإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ بدعوى " مكافحة الإرهاب " . وكانت فكرة "تحرير" الشعب العراقي من نظام الرئيس صدام حسين أحد أهم الأهداف الكبرى للحرب على العراق ، والعمل على إنشاء نظام " ديمقراطي " بديل يكون أنموذجاً تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية للعالمين العربي والإسلامي [٢١].

وقامت مركز الدراسات والمعاهد الإستراتيجية اليهودية والمحافظة من خلال اليهود المتواجدين فيها بوضع تصورات ومخططات لمستقبل البلدان العربية والإسلامية في منطقة "الشرق الأوسط الكبير " [٢٢] ، لأجل القضاء على " الوحدة " العربية وعلى الأحزاب والدول القومية العربية والدعوة لإشعال الحرب العالمية للقضاء على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والأمريكي وإشعال الحرب على أفغانستان والعراق وتفتيت وحدة أرضه وشعبه ، وتقسيم المنطقة الى " دويلات " سياسية قبلية ودينية وعرقية لإضعاف الأمن القومي العربي ، وتهويد فلسطين وإنجاح المشروع الصهيوني وتخليد الوجود العسكري الأمريكي وتمكين إسرائيل من قيادة المنطقة العربية [٢٣] .

وتجسد الهدف الإستراتيجي للصهيونية العالمية و " إسرائيل " في إقامة نظام " شرق أوسطي " كبير على أنقاض النظام الإقليمي العربي ، وإنشاء منظمات ومؤسسات إقليمية على أنقاض منظمات ومؤسسات العمل العربي المشترك وعلى أنقاض الجامعة العربية . ونادى اللوبي الصهيوني بعد أحداث الحادي عشر

من سبتمبر / ايلول ٢٠٠١ بالإسراع في إقامة التحالف الإستراتيجي في الشرق الأوسط الكبير من أجل أن تهيمن إسرائيل على المنطقة العربية وتهميش دور مصر والمملكة العربية السعودية [٢٤].

وفي العاشر من تموز ٢٠٠٢ قدمت مؤسسة راند الأمريكية للدراسات تقريراً وضعه (لوران مورافيتش) المحلل الإستراتيجي فيها ، تم تقديمه الى هيئة السياسة الدفاعية في وزارة الدفاع الأمريكية ، وقد تكوّن التقرير المشار اليه من (٢٤) نقطة تم تخصيصها لدراسة الوضع في المنطقة العربية ، وقد خلص التقرير الى ما وُصف بأنه " الإستراتيجية الكبرى للشرق الأوسط "،إذ أشار بما نصه:((إن العراق يجب أن يكون المحطة الأولى التي تنبغي أن يحدث فيها التغيير،ومن بعد ذلك تأتي السعودية ومصر وهكذا بالنسبة لبقية البلدان ...)) . وقد رسم ذلك التقرير صورة مظلمة للأوضاع في العالم العربي تدل بما لا يدع مجالاً للشك على عزم الولايات المتحدة الأمريكية إجراء تغييرات جوهرية في بلدان المنطقة بذريعة وجود ((مشكلات اقتصادية وديموغرافية باتت مستعصية على الحل بسبب الفشل في تأسيس سياسات تضع الإزدهار والرفاء هدفاً لها ...)) [٢٥].كما أطلق كولن باول ، وزير خارجية الولايات المتحدة مبادرة اسماها (الشراكة الأمريكية مع الشرق الأوسط) " 'US-Middle East Paotnership Initiative والتي تضمنت قيام الولايات المتحدة الأمريكية بالمساعدة على إقرار اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في بلدان الشرق الأوسط [٢٦].

وتحركت الأحداث بوتيرة متسارعة في الشرق الأوسط ، وبرز موضوع العراق كهدف استراتيجي في توجهات الولايات المتحدة الأمريكية لإحداث التبدلات الجوهرية التي لطالما سعت اليها مع حليفها الإستراتيجي " إسرائيل "، وجاءت عملية الحرب على العراق " حرية العراق " يوم العشرين من آذار ٢٠٠٣ لتكون بمثابة " خط الشروع الأول في عملية تغيير شاملة تستهدف تغيير خارطة المنطقة برمتها "[٢٧] ، في الوقت الذي توقع الكثير من المراقبين بأن عملية استهداف العراق وغزوه واحتلاله لن تكون نهاية المطاف ، بل انها مجرد البداية لأحداث خطيرة ، وان الدور سيأتي لا محالة على بلدان أخرى ، وانه لا يمكن لأي كيان عربي كبيراً كان أم صغيراً ، أن يكون بمنأى عن تلك التبدلات والتغييرات التي سعت اليها الولايات المتحدة الأمريكية و" إسرائيل " [٢٨] .

وبعد عملية الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله يوم التاسع من نيسان ٢٠٠٣ ، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بالعمل من أجل تحويل ذلك البلد الى مرتكز ومحور للتغيير في المنطقة كلها وتنفيذ (مشروع الشرق الأوسط الكبير) [٢٩] الذي يعد الركيزة الأساسية في (المشروع الإمبراطوري الأمريكي) كله .وقد أكد بول كندي ، المؤرخ الأمريكي المعروف ، ذلك عندما أشار الى ان احتلال العراق أطال في عمر الولايات المتحدة ، وتنفيذ أهدافها للمائة سنة القادمة ، كما أكد ذلك أحد المراقبين الغربيين حينما شبّه جورج بوش بالإسكندر الذي ما ان وضع يده على العراق حتى بدأ ببناء إمبراطوريته [٣٠].

وبرأينا فإن احتلال العراق عام ٢٠٠٣ باعتباره (مفتاح المنطقة)"Key Coountry"[٣١] ، وإسقاط نظامه السياسي المشولي عنوةً ، ووصول قوات الغزو الأمريكي الى منطقتنا العربية بهذا الحجم والثقل

الكبيرين ، ألقى بضلاله القاتمة على متغيرات كثيرة لعل من أبرزها تغير الواقع الاجتماعي في الداخل العراقي أولاً ، ومن ثم المتغيرات الهائلة التي أعقبت احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق ، والتي مست صميم واقع الحياة المجتمعية من باقي أجزاء الوطن العربي الأخرى ، وزيادة نقمة الشارع العربي تجاه الوجود الإستعماري الجديد في المنطقة [٣٢] بعد أن كان العرب قد تخلصوا منه لعشرات السنين الماضية ، الأمر الذي أحدث ثورة من الغضب الشعبي العارم والمتزايد ضد الإستعمار وأتباعه الجدد في عالمنا العربي والإسلامي [٣٣].

ولقد برّر اليهودي ديفيد فروم ، كاتب خطابات بوش (الإبن) في الشؤون الإقتصادية ، الحرب العدوانية على العراق بالقول : ((إن المبرر المنطقي لحرب بوش على العراق هو السعي لتحقيق استقرار جديد من شأنه أن يضع أمريكا في موقع سيطرة تامة في الشرق الأوسط أكثر من أي قوة مضت ، منذ العثمانيين وحتى الرومان)) [٣٤].

وبذلك وبعد أن شهدت منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية منها تحديداً ، حروباً مدمرة ؛ حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨) ، والثانية ١٩٩٠-١٩٩١ (عاصفة الصحراء) ، والثالثة (حرية العراق) التي أطاحت بنظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين ، وما بينها من مشاريع استعمارية " شرق أوسطية " جديدة ، وخرائط غريبة على منطقتنا العربية ترفض حتى خريطة سايكس – بيكو التي وضعتها الإمبرياليتين البريطانية والفرنسية سنة ١٩١٦[٣٥] ، عندما تدعو الظاهرة الاستعمارية الجديدة الى إنشاء ما يعرف بـ" الشرق الأوسط الكبير " والذي تطلق عليه أدبيات السياسة الأميركية حالياً مفهوم " الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا " [٣٦] ، بعد كل ذلك أبدت الشعوب العربية والإسلامية مخاوفها من القادم ، القديم – الجديد ، الاستعمار ، ليغزو مجدداً المناطق العربية ذات الثروات الطبيعية الهائلة ، ولتتم عملية تأمين " الدولة " اليهودية من خلال هذه الغزوة الاستعمارية الجديدة ، وبكل ما تحمل في جعبتها من مدلولات سياسية واقتصادية ، وبُعداً استراتيجياً .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أمكننا القول بأن مشروع الشرق الأوسط الكبير " مشروع القرن الأمريكي " الواحد والعشرون يتمثل بالهيمنة على المنطقة برمتها ، وتحديد الأبعاد الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فيها من خلال جملة من المفاهيم وردت في تفسيرات بعض من مضمون مرتكزات ذلك المشروع،والذي استلزم القيام والشروع في تنفيذ خطواته ، غزو العراق واحتلاله ، كمرحلة أولى لتنفيذ الرؤى الإستراتيجية الأمريكية " الإسرائيلية " بعد إسقاط نظام صدام حسين ، وكان من بينها : إشغال المنطقة بصراعات أثنية وطائفية وقومية وديموغرافية، لكي تتمكن " إسرائيل " من الإستفادة على المدى القريب والبعيد من كل تلك التداعيات الخطيرة على مستقبل المنطقة قومياً وحضارياً ، والتي ستفضي في نهاية المطاف إلى تمزيقها بصيغة كانتونات ودويلات وأقليات متناحرة فيما بينها .. وقد تبدو حالة الصراع التي تعصف بمقدرات العرب والمسلمين ، وفي أماكن مختلفة من العالم العربي والإسلامي ، وفي جزء كبير منها ، قريبة جداً من بعض المطامح التي سعى إليها الأمريكيون و "الإسرائيليون " والمنتفعون من خلفهم ، عبر

مشروع القرن الأمريكي للشرق الأوسط الكبير ، وتبدو الصراعات الطائفية والمذهبية هي الأكثر وضوحاً في مناطق متفرقة من العالم العربي.

تقودنا عملية قراءة الهدف الحقيقي " وغير المعلن " من عملية الغزو الأمريكي للعراق الى إتجاهات التغيير القادم ، والذي يعني ((الأهمية المطلقة لإزاحة النظام العراقي بإعتباره الخطوة الأولى على طريق إحداث تغيير شامل في الشرق الأوسط ؛ مما يعني إسقاط حكومات ، وتقسيم دول ، وتغيير ملامح الخريطة السياسية في المنطقة لفرض نظام شرق أوسطي جديد خاضع للإدارة الأمريكية من جهة ، وتؤدي فيه " إسرائيل " وتركيا دوراً محورياً من جهة أخرى)) [٣٧].

وبوجود الوجه الاستعماري الجديد ، والذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية ، ستكون التغييرات الإجتماعية هي الأكثر خطورة والأعمق أثراً من التغييرات السياسية التي لن تلامس إلا السطح . إلا أن الأمريكيين لا يستطيعون البقاء مدة طويلة في هذه المنطقة ، من دون فرض شيء من التغيير [٣٨] ، حتى لا يظهروا أمام الرأي العام الأمريكي وكأنهم حُماة لمجموعة نُظم عشائرية ، وشيوخ قبائل إقطاعية ، وحكام غير ديمقراطيين لا يملكون نظاماً اقتصادياً واجتماعياً عادلاً لتوزيع الثروة ، ولا فهماً صحيحاً لموضوع الحريات وحقوق الإنسان[٣٩] . وقد أشارت كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية الأمريكية ،إلى شيء من هذا القبيل في مقالها المنشور في صحيفة واشنطن بوست بعددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٥/٨/٧ وتحت عنوان : (تأملات في التحول المنتظر بالشرق الأوسط) جاء فيه : ((ان العراق ، بعد حدوث التغيير الشامل فيه يمكن أن يصبح عنصراً أساسياً في منطقة الشرق الأوسط مثلما أصبحت ألمانيا العمود الفقري لأوربا الموحدة الحرة)) [٤٠] .

والحال هذه ، كان على " الشرق أوسطيين والغرباء الاعتراف أيضاً بأن المنطقة تعاني من بعض المشاكل الاستثنائية العميقة على الصعيد الاجتماعي ، والديموغرافي ، والسياسي ، وإن معظم المجتمعات تخلفت عن غيرها كثيراً فيما يتعلق بالعصرنة . وكانت النتيجة مستوىً متزايداً من الإحباط والامتعاض بين شعوب المنطقة الذين لا يمكن مخاطبتهم إلا من خلال لغة تغيير سياسي واقتصادي في الصميم [٤١] ، فجاء غضب الرأي العام ضد أنظمته الفردية الشمولية ليكون مقدمة لتهاوي عروشها ، وخطوة أولى نحو التغيير ، وبكافة أشكاله .

ثانيا : دكتاتورية الأنظمة العربية الحاكمة وتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية وانعكاساتها على الأحوال الاجتماعية :

مثلت عملية غزو العراق واحتلاله صبيحة يوم التاسع من نيسان ٢٠٠٣ درسا قاسيا بالغ الخطورة قض مضاجع الزعماء والملوك والأمراء والرؤساء العرب حيثما وجدوا وتحكموا .. فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة الأميركية قد أعلنت بأن هدفها الأساس من حربها ضد العراق هو تحرير البلاد من الدكتاتورية وإقامة نظام ديمقراطي تعددي فيه [٤٢] ، إلا أنها لم تكتف بذلك ، بل شرعت بالتلويح للدول المجاورة بالمنطقة بضرورة تعديل

أنظمتها وتطبيق النظام الديمقراطي كمشروع استراتيجي لا بديل عنه [٤٣] . وفي أواخر شباط ٢٠٠٤ تحرك (مارك غروسمان) ، وكيل وزير الخارجية الأمريكية للشؤون السياسية ، في نطاق جولة كان هدفها توضيح "مشروع الشرق الأوسط الكبير" ، وقد ظهرت ردود فعل عربية متواضعة على ذلك المشروع كان من بينها قول وزير خارجية مصر – آنذاك – أحمد ماهر بأن بلاده ((لا تنتظر أحدا كي يدلها على الإصلاح ومضمونه،وهي تشعر بأهمية الإصلاح)) .. أما الرئيس اليمني علي عبد الله صالح فقد قال: ((لنحلق رؤوسنا قبل أن يحلقها لنا الآخرون)) [٤٤] .

لقد أبدى العديد من النقاد ذوي الاتجاهات اليمينية والمحافظة الأميركية رغبتهم ، في أعقاب الغزو الأميركي للعراق ، في تبني سياسة تغيير الأنظمة في كل من سوريا وإيران والعربية السعودية، .... فضلا عن مواصلة الضغوط على مصر ، في الوقت الذي شكك خبراء أميركيون في شؤون الديمقراطية بنجاح خطط الرئيس الأميركي بوش (الإبن) ، إذ قال (توماس كاروترز) ، الباحث في مؤسسة كارنيغي للسلام في دراسة نشرها مؤخرا بأن ((أنظمة الحكم في الشرق الأوسط قد تقبل بإصلاحات محدودة كوسيلة للحفاظ على قبضتها على السلطة وليس من أجل الديمقراطية !!)) [٤٥] .

انطلاق عهد حركات التغيير العربية :

عُدّت ((الدولة المدنية)) من أبرز الإنجازات التي وصل إليها الإنسان إبان العصور الحديثة ، إذ أن جميع المواطنين يتساوون ويتمتعون بالفرص الكاملة وغير المنقوصة ، فضلا عن أن مبدأ المواطنة هو المبدأ المشترك الذي يجمع بين أبناء الدولة بغض النظر عن الانتماءات الدينية والقومية والمذهبية والعرقية .. وعلى ذلك أشار الدكتور إبراهيم العلاف إلى ضرورة تكريم الإنسان واحترام حقوقه ، والعمل من أجل خلق فرص متساوية ومتكافئة أمام الناس ، وخلق مجتمع الرفاهية والعدالة والذي من خلاله فقط يمكن الوصول إلى ما نحلم به .. ويشير العلاف أيضا إلى أن الحقبة القادمة ستكون ((مرحلة الشعب الواحد لا مرحلة القوميات والأقليات ، مرحلة تتحقق فيها دولة المواطنة الواحدة ، دولة لا تسأل الإنسان عن قوميته ودينه وتوجهه السياسي ومذهبه وإنما تسأله عن مهنته وقدراته وشهاداته وإمكاناته في خدمة وطنه)) [٤٦] .

وعلى غير المتوقع اندلعت حركات التغيير العربية ، بفعل التراكمات الخفية والتي بلغت مداها ، ووصلت عوامل الانفجار الشعبي إلى أقصى حدودها دون تحمل مزيد من التأخير ، وصار حتميا بأن تعبر عن نفسها على هذا النحو الذي بدأ في تونس ، مارا بسرعة باتجاه مصر ، لينتشر في المنطقة برمتها [٤٧] .

ويرى عبد الغني سلامة – الكاتب والمحلل السياسي – بأن هناك ثلاثة عوامل كان لها وقعا بالغ الأهمية في اندلاع حركات التغيير العربية ، منذ أن تحررت الدول العربية من الاستعمار ونالت استقلالها السياسي ، وهي [٤٨] :-

١- طبيعة الأنظمة العربية الحاكمة .

٢- الأحزاب الشمولية (ومنها تيارات الإسلام السياسي) .

٣- العوامل الخارجية ، والتي كان لها دور كبير في إنضاج حركات التغيير .

وبطبيعة الحال يمكننا الإشارة إلى الأسباب الجوهرية التي أدت إلى اندلاع حركات التغيير العربية ، الداخلية منها والخارجية على حد سواء .. فمن ناحية الأسباب الداخلية يمكننا وصف دورها بـ ((المفصلي والحاسم)) في تفجير تلك الأحداث ، متضمنة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والتعليمية ، والقائمة طويلة .

إن معظم سكان منطقة الشرق الأوسط كان يعيش في ظل نظام اجتماعي متخلف نواته الأساسية (القبيلة) ، ولطالما تحرك بدافع العُرف السائد والتقاليد البالية [٤٩] . كما عانت معظم دول الشرق الأوسط من التخلف الاقتصادي خاصة الدول العربية ، فالكثير منها تعتمد على واردات النفط ، والآخر على السياسية والمساعدات الخارجية ، كما شكلت البطالة بعدا خطيرا في البلدان العربية ، وتسببت في مشاكل اجتماعية غاية في التعقيد ، ناهيك عن مجال التربية والتعليم المتدني،والذي وصل إلى نسب مخيفة حددت واقع ما تمر به المجتمعات العربية بخصوص هذا الحقل الحساس والمرتبط بتقدم المجتمعات ورفاهها من عدمه[٥٠] .

ولو تطرقنا إلى الأسباب السياسية لوجدنا أن معظم بلدان الشرق الأوسط هي بلدان ذات أنظمة شمولية استبدادية ، ينعدم في ظل وجودها كل مظهر من مظاهر التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة ، وحرية الصحافة والتعبير التي باتت في حكم المحظورات ، وكان كل حكام تلك الدول ممسكين بالسلطة بقوة ، إذ لا مكان لمعارضة حقيقية ، ولا تعدد أحزاب سياسية ، سوى من يؤيد فكر القائد الفذ والملهم [٥١] .

لقد استلمت الأحزاب الشمولية السلطة في أكثر من بلد عربي ، وفي بلدان أخرى هيمنت على الحياة السياسية فيها من دون أن تستلم بشكل مباشر ، أما في صفوف المعارضة أو متحالفة مع النظام الحاكم .. وعلى أية حال فقد أدى النهج الشمولي الإقصائي لتلك الأحزاب إلى إسكات وقمع القوى الديمقراطية والتقدمية الأخرى ، وإلى إرساء دعائم الدكتاتورية والاستبداد ، ولكن تحت شعارات قومية وثورية [٥٢] .

ويشير عبد الغني سلامة إلى أنه ((ومع غياب الديمقراطية وانعدام أي شكل من أشكال تداول السلطة – باستثناء الانقلابات العسكرية – ومع تفشي الفساد وسيطرة زوجات الرؤساء وعائلاتهم على ثروات البلاد ، وتعثر مشاريع التنمية ، وفشل السياسات الاقتصادية،وانتشار البطالة والأمية والفقر في صفوف الجماهير ، وغياب المشاركة الشعبية وانسداد الأفق السياسي نتيجة أعمال تزوير الانتخابات ... أدى هذا كله إلى تآكل شرعية الأنظمة ، واتساع الفجوة بينها وبين الشعب ...)) [٥٣].

وكما سبق وأن أشرنا إلى أهمية الأسباب الخارجية في حركات التغيير العربية ، من حيث دورها الفاعل والمباشر في انفجار حركة الشارع ضد الأنظمة الاستبدادية ، ويشير بعض من الكتاب والمحللين السياسيين إلى أن تأثيرات تلك الأسباب والعوامل لم تظهر بشكل واضح ، وبرز بهذا الخصوص رأيان [٥٤] :-

١- إن الثورات والاحتجاجات التي عصفت بالمنطقة العربية مؤخرا لم تكن إلا صناعة محلية خالصة ، لا دور للخارج فيها ، بل وذهب الكثير من أصحاب هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك بكثير عندما أشاروا إلى تخوف الغرب والولايات المتحدة الأميركية على وجه الخصوص من حركات التغيير العربية [٥٥] ، وإنما

تعاملوا معها على أساس الأمر الواقع ليس إلا . وضربوا مثلا على ذلك التصريحات المتضاربة والمتناقضة للخارجية الأميركية بشأن موقف واشنطن من النظامين التونسي والمصري .

٢- إن للعامل الخارجي [٥٦] دور مؤثر في تحريك الشارع العربي وإحداث التغيير ، واستشهد مؤيدوا هذا الاتجاه بوثائق ويكيلكس والمساعدات الأميركية المقدمة لمنظمات المجتمع المدني التي تدعو إلى الديمقراطية [٥٧] . ويرى البعض من أنصار هذا الاتجاه بأن وثائق ويكيلكس والموقع نفسه له دور فاعل بما حدث في العالم العربي من تغييرات ، كون الوثائق والموقع المشار إليه كشف أمورا سرية للغاية حول أولئك الحكام المستبدين وحاشيتهم ، وعن ثرواتهم وحجم الفساد الموجود في تلك البلدان .

وما بين هذه الأسباب وتلك، تبقى النتائج التي ستتمخض عن حركات التغيير العربية ، هي الأهم على الإطلاق، كونها ستحدد مسارات المرحلة المقبلة لعمليات الإصلاح الديمقراطي داخل المنطقة العربية كمشروع متكامل ، فضلا عن تحديدها الرؤى المستقبلية والإستراتيجية للنظم السياسية البديلة ، التي جاءت بإسم الحرية والديمقراطية ، لتحل محل الأنظمة الاستبدادية الشمولية .

نتائج حركات التغيير العربية على المدى المنظور القريب :

أدت النتائج الأولية لحركات التغيير العربية إلى تبدل واضح في وجهات النظر لدى الكثير من المثقفين والسياسيين الذين كانوا لا يثقون بدور الجماهير وإمكانياتها في الانتصار والتغيير ، ويلوحون بعمل عسكري أو توقعوا انقلاباً عسكرياً يقوم به البعض من قطعات الجيش بأنها أحد الوسائل المتقدمة في تخليص الشعوب من الأنظمة والحكام الفاسدين [٥٨] .

لقد نجحت حركات التغيير في إسقاط أنظمة الحكم في كل من تونس ومصر وليبيا[٥٩]، الأمر الذي أدى إلى إيجاد نوع من العلاقات الجديدة في المنطقة ، الموضوع الذي سيلقي بظلاله على العلاقات الدولية لتلك البلدان مع دول أخرى في المنطقة أو مع الدول الغربية .

إن الثورات والأحداث التي جرت وتجري على الساحة العربية أخلت بالتوازن في العلاقات الدولية لتلك الدول مع الدول الغربية التي كانت موجودة منذ الحرب الباردة .. ووفق التغييرات السياسية الحاصلة على المستوى الداخلي ، فإننا سنشهد تغيير محتوى ومضمون علاقاتهم الدولية ، فضلا عن إن التغييرات السياسية الجديدة ستؤدي إلى ظهور أحزاب وقوى سياسية على الساحة الداخلية . وإن تلك القوى الجديدة ستعمل حتما على تغيير في سياساتها الخارجية بالاستناد إلى فلسفة سياسية تؤمن بها القوى التي ستهيمن على أنظمة الحكم ، ووفق فهمهم للمصلحة الوطنية لبلدانهم . وبسبب عدم وضوح ملامح مستقبل النظام السياسي في دول " الربيع العربي " وعدم تشكلها بصورتها النهائية ، لا يمكن التحدث حول المستقبل السياسي للمنطقة ، وماهية أُطر العلاقات التي ستربط بلدان المنطقة بمحيطها الخارجي [٦٠] . ومع ذلك أمكننا التطرق لبعض من الملامح البارزة بفعل تطور مجريات الأحداث على الساحة العربية وعلى نحو متسارع ؛ فالربيع العربي لم يبق ربيعا بالمعنى الواسع لمفهوم التغيير الجذري ، بل بقيَّ يراوح في مكانه .. وبمجرد رحيل الحكام الشموليين الذين ((

شيبوا الرؤوس ودمروا النفوس)) ، زحف الآخرون ممن كان يتحيّن الفرص ، بينما الذين خرجوا إلى الشوارع بمئات الآلاف وأكثرهم من الطبقات والفئات الكادحة والمتوسطة ، وصارعوا الأجهزة الأمنية القمعية معرضين أنفسهم للاعتقال والتعذيب والسجن ، بل وحتى الموت ، وهو ما حدث فعليا مع عشرات الجرحى والمصابين ، لأن الذي جاء إلى السلطة ، ومن خلفهم بدءوا يكبحون التواصل والمضي لإتمام باقي المهمات ، في سعي محموم لتجيير إسقاط الأنظمة لأنفسهم ، مدعين بمعارضتهم وتضحياتهم في تلك الأزمنة ، وهذا الكابح الجديد – القديم هدفه الأساس تعطيل مسيرة الثورة وإيقاف التغييرات عند حدود مصالح القوى المعادية للثورات والانتفاضات ، بل إيقافها عبر ادعاءات منها : ((ضرب البلاد وتدمير الاقتصاد والتربص الخارجي والمؤامرة المزعومة)) ، ولكن واقع الحال يشير إلى عمليات من الكذب الممنهج على الشعوب، لأن أصحاب المصالح العليا من كل ما جرى يتربصون حقيقة بالشعب والبعض من المنجزات التي حققتها حركات التغيير أو ما يسمى بـ"الربيع العربي"[٦٢] .

وهناك من يشير إلى " الربيع العربي" بفعل بعض نتائجه القاسية ، على انه ((خريف مزمن)) بسبب مجموعة من التداعيات الخطيرة التي تمثلت بوجود إشارات بارزة على تحالف أنظمة " الربيع " ذاته مع قوى الاستعمار الجديد – القديم ، على حد وصف البعض من الكتاب . وليس هذا وحسب ، بل إن هناك اختبارات حقيقية (وقد تكون متعمدة ومدروسة بعناية) قام بها الغرب لاختبار إرادة سلطات " الربيع العربي" الجديدة ذات الثوب الإسلامي من خلال افتعال عدد من الأزمات ، وانتظار ردود الفعل الخاصة بشأنها ، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار بأن تلك الأزمات المفتعلة يفترض أنها تمس صميم المجتمع الإسلامي الذي بات واجهة وشعارات للحكام الجدد ، ومن ذلك (٦٣) :-

١- قيام جنود أميركيين بجمع وحرق نسخ عديدة من القرآن الكريم في قاعدة (باجرام) الجوية بأفغانستان ، وقد مرت هذه الحادثة (بسلام) دون أن يكون هناك أدنى إدانة من دول ثورات ما سمي بـ ((الربيع العربي)) .

٢- قيام جنود أمريكان بقتل ستة عشر مدنيا جلهم من النساء والأطفال في أفغانستان ، وتمت عملية تهريب المسؤولين عن هذا الفعل الإجرامي إلى بلادهم بذريعة محاكمتهم، ولا ردود فعل تذكر .

٣- حدوث عدوان " إسرائيلي" جديد ضد قطاع غزة ، فضلا عن الحصار واسع النطاق الذي حرم نحو مليون ونصف المليون مواطن فلسطيني من أبسط مستلزمات الحياة الحرة الكريمة ، في حين يسهم من يستلم السلطة (الآن) في مصر في إدامة هذا الحصار من خلال سكوته المفضوح ، بينما كان يوقف الدنيا ولا يقعدها في ظل النظام الدكتاتوري السابق (عميل الصهيونية) في مصر لأجل كسر حاجز الحدود وفك الحصار عن غزة وإغاثة الشعب الفلسطيني .

أما (ميشائيل لودرز) ، الكاتب والصحفي الألماني ، فيشير إلى أن المجتمعات العربية كانت تعيش متقوقعة في ما أسماها " كبسولة الزمن الماضي " على الرغم من استقلالها بعد حقبة الاستعمار ، وإن " الربيع العربي " جاء ليعبر الآن عن إرادة الشعوب العربية وتوقها إلى تحرير نفسها من هذه الحلقة المفرغة – حلقة

الركود الفكري وانعدام الآفاق الاقتصادية . كما ينوّه في هذه العملية إلى انتقال المجتمع العربي من مجتمع إقطاعي ريفي إلى مجتمع صناعي متمدن ؛ وهذا ليس جديدا ، كما انه ركز على عقلية المجتمعات العربية وصدمتها النفسية ومفاهيمها الذاتية ، ومحاولتها التحرر من ما أسماه " شللا اجتماعيا " عُمرهُ عقودا من الزمن ، فضلا عن إشارته إلى أن الكثير ممن كانوا راغبين بكل وضوح وفي أماكن مختلفة في النظر إلى أنفسهم باعتبارهم أمة واحدة وشعبا ناضجا . ويوضح لودرز بأن الإسلام لم يكن دورّه بهذا الصدد إلا ثانويا ، فيقول : ((الإسلام لا يشكل لجيل الفيسبوك عقيدة ، وفي بعض النواحي لم يعد حتى حياة دينية بقدر ما هو أسلوب حياة)) .[٦٤]

إن ما نلحظهُ الآن من تطورات سياسية في بلدان " الربيع العربي "يؤكد لنا بما لا يقبل الشك بأن القوى الموجودة تريد الاستئثار بالحكم وليس المضي قدما باتجاه حصر النتائج الإيجابية بسقوط الأنظمة . وإن سقوط حكامها والعديد من قادتها دليلٌ على مدى الانعكاسات التي بدأت تظهر بشكل علني بعدما كانت تتحرك في السر ، وقد عادت إلى الساحة السياسية بعض من الشعارات الدينية المتطرفة ، أو اتخاذها مطرقة بالضد من القوى التقدمية والليبرالية والعودة للشعارات التكفيرية وقضية حقوق المرأة والاتهامات بالفساد الأخلاقي المنافي للدين الإسلامي بشكل منظم ووفق منهاجية وآليات جديدة ينطلق صداها من داخل أروقة الجوامع والمساجد وبقية أماكن العبادة لأجل تعميمها على الشارع ، فضلا عن وجود تبلورات للقوى اليمينية وفي مقدمتها التنظيمات السلفية التي بدأت في مراحل مبكرة استغلال ما يمكن استغلاله من قوانين وأوضاع جديدة ، ((لقد كانت سابقا منهاجية ميكافيلية لخلط الأوراق في قضايا تخص موضوعة الدين والسياسة))،وبالرغم من الحديث عن الدولة المدنية الإسلامية ، لكنها لم تتغير إلا بإضافة خطاب تمويهي لخداع المواطنين البسطاء [٦٥].

ويشير مصطفى محمد غريب ، الكاتب والمحلل السياسي ، إلى أن الخطاب الذي ما زال يطبق سياسة خلط الأوراق لتغييب الأهداف الكامنة خلف شعارات زائفة ، ومنه عدم فرض الشريعة الإسلامية ، ولكن ذلك ما عاد لينطلي ، بحسب قوله ، على الذين لديهم خبرة واطلاع على تاريخ هذه الحركات التي كانت وما زالت تقف بالضد من قضايا حيوية ومهمة من قبيل (الفنون ، التمثيل ، المسرح ،الموسيقى ، الغناء ، دور السينما ، النوادي الاجتماعية ، السفور ، فرض النقاب وحقوق المرأة) ، وهذا ما أكدته البعض من الأصوات التي انطلقت مؤخرا في تونس ومصر وليبيا بعد النتائج الأولية للربيع العربي ، مؤكدة على النهج الذي مارسته في السابق لكن بوجه جديد ، تدعي أنها لا تعتزم فرض الشريعة الإسلامية ، وهي مغالطة كون الخوف والقلق الذي يلازم المواطنين بخصوص حرياتهم العامة والشخصية تجعلهم لا يثقون بهذه الأقوال ، وإن القضية لم تنته بعد ، فهناك رؤية واقعية تتمثل بوجود توجهات معادية حتى لهامش الديمقراطية وللحريات المدنية والقوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية تتبلور لدى أحزاب الإسلام السياسي بعدما تمكنت من الفوز في الانتخابات في تونس ثم في مصر ، والتي أشارت العديد من وسائل الإعلام إلى أن القوى الإسلامية (الأخوان والسلفيين) تسيطر على لجنة صياغة الدستور التي وعدت بإنجاز دستور جديد خلال مدة قصيرة ، إلا أن الكثير من الخبراء

يعتقدون ((أنهم ليسوا متجاوبين مع الشارع الثائر)) ، بمعنى أن هناك التفاف مكشوف حول نتائج " الربيع العربي " [٦٦] .

ويرى لودرز ، بأن العصر الذهبي للأيديولوجيات الإسلامية قد انتهى ، وبهذا فهو يواجه على نحو مفيد وغير عقائدي ما أسماه " شبح الإسلام السياسي " المنتشر في الغرب . كما إنه يصدر للغرب شهادة مخزية في تعامله مع العالم العربي .. ويصف الثورة العربية بأنها ((مبرمجة برمجة خاطئة ، وهي لا تناسب (عقلية القرص الصلب) السائدة في الغرب ، ولا تتوافق مع تصورات ومُسلّمات الأغلبية)) . كما يوضح الصحفي الألماني بأن " الربيع العربي "كشف مؤخرا أن بعض الحقائق المزعومة هي مجرد صور نمطية ، وإن بعض المسلّمات المبينة هي مجرد واجهات لا أكثر .. ويقول بأن الغرب خاض حربين في أفغانستان والعراق لتصدير الديمقراطية ولكن من دون نجاح ؛ والآن يثبت العالم العربي إنه قادر بنفسه على التخلص من حكامه الذين فقدوا شعبيتهم .. ويضيف أن الغرب قد قبل الأنظمة الشمولية كبديهيات مُسلّم بها – فالعرب يحتاجون في آخر المطاف حكومات ذات قبضة حديدية ، بحسب تعبيره ، وإن مثل هذه الآراء المشحونة بما أسماه " الإسلاموفوبيا " هي من يحدد وجهة نظر الغرب ، وهذه صور نمطية خطيرة [٦٧] .

إننا نرى اليوم الكثير من النتائج السلبية التي آلت إليها مجريات حركات التغيير العربية ، إذ تسنم سدة الحكم والسلطة من هم ببعيدين عنها ، مثل ما جرى في تونس ومصر ، وأُبعد أصحاب الشأن الحقيقي ومن ثار بوجه الظلم والاستبداد ، والسبب واضح وهو أن من تم إبعاده وسلخه عن ثورته أو حركته الاجتماعية إفتقر إلى التنظيم السياسي والاجتماعي ، بينما من استلم السلطة هم الأكثر تنظيما ونفوذا ، معززين بهذا الشعار أو ذاك ، وكأن واقع حالنا يقول أن الثورات تسرق من جديد ، فنعود إلى المربع الأول الذي سيكون بحاجة إلى (مناضلين) جُدد لتحرير البلاد والعباد [٦٨] .

وضمن إطار التأثيرات الخارجية ، يرصد لنا خميس التوبي بعض نتائج التدخل الغربي الاستعماري في ثورات " الربيع العربي "وحركات التغيير ، ونتائج رغبة العيش في ظل رعاية ذلك الاستعمار وحمايته من خلال [٦٩] :-

١- التحول الجذري وغير المسبوق لجامعة الدول العربية نحو عسكرة الثورات ، والاستعانة بالغزاة والمستعمرين وتحالف أنظمة عضوة بالجامعة معهم لإسقاط أنظمة أخرى ، والاشتراك مع الغزاة والمستعمرين في صياغة مشاريع قرارات أممية ، الأمر الذي عدّ سابقة خطيرة في تاريخ الجامعة العربية العتيدة .

٢- العمل على تقسيم ليبيا إلى كانتونات ومناطق قبلية متناحرة ، وقبل ذلك تقسيم حصص النفط الليبي بين المستعمرين الجدد (٣٠% لفرنسا،٢٠% لبريطانيا، ١٠% لإيطاليا) .

٣- الرغبة الجامحة في التطبيع مع " إسرائيل " ..وتمثل ذلك في إشارة رفيق عبد السلام ، وزير الخارجية في الحكومة التونسية المؤقتة ، إلى أنه لا يؤيد فكرة تخصيص بند في الدستور التونسي الجديد يُجرم

التطبيع مع "إسرائيل " ، مؤكدا إنه لا يعرف من أين أتت ((قصة تخصيص بند في الدستور التونسي يُحرم أو يُجرم التطبيع)) ، موضحا أن الدستور يُعبر عن مبادئ عامة بسياسات الدولة .

ويشير الباحث عدي علي العبيدي ، إلى أن حركات التغيير العربية الجديدة ربما تكون قد اجتازت عنق الزجاجة ، على حد وصفه ، بعد أن أطاحت بأنظمة الحكم الشمولية المستبدة لتفتح الباب أمام تحديات جمة لا تقل صعوبة وتحد عن عملية إسقاط تلك النظم ، وإن طبيعة تعامل القوى التي ستتصدر المرحلة القادمة مع المتغيرات الدولية وتدخلها في شؤونها الداخلية من جهة،وتعقيدات المشهد الداخلي لبلدان " الربيع العربي " ومصاعبها الاقتصادية والسياسية ، سيرسم الشكل الكامل لصورة الثورات الجديدة ، وإن من بين أهم العوامل التي سترسم الاتجاهات السياسية للمرحلة القادمة هي ما يلي [٧٠] :-

١- مدى قدرة قوى حركات التغيير على الانتقال من آيديولوجية المعارضة إلى آيديولوجية الحاكم ، إذ ليس بالضرورة أن من ينجح في ميدان العمل المعارض يكون ناجحا في ميدان قيادة الدولة ويجيد فن الحكم .

٢- إن واقع بلدان " الربيع العربي " يحوي قدرا كبيرا من المشاكل المعقدة التي لا يمكن حلها سريعا ، وهي تحتاج إلى مدة من الزمن لعلاجها تدريجيا ، وبالتالي إذا تصورت الشعوب العربية إن الثورات " العصى السحرية " لمشاكلها ، فإنها تنافي الحقيقة والواقع ، وعليه لا بد من نشر وعي جماهيري يستوعب طول مدة العلاج ، والمهم في ذلك أن تبنى الحلول على أسس علمية صحيحة ورصينة .

٣- إن على حركات التغيير التعامل بحذر مع محاولات الاحتواء التي تسعى لها القوى الدولية والإقليمية في الشرق والغرب ، وأن تمتلك القدرة على التعامل بتوازن مع تلك الدول وأن تستوعب المتغيرات الدولية وتتعامل معها بما يحقق مصالح شعوبها من غير إعادة أساليب التبعية والهيمنة مستغلة حقيقة تغيير موازين القوى الدولية وتغيير حجم التأثير الدولي .

٤- إن عملية التخلص من تبعات الولاء والالتزامات الإقليمية والدولية هي عملية معقدة وتحتاج إلى خطة استراتيجية محكمة ، وتحديدا تلك التي قيّدت بها الأنظمة المطاح بها دولها بالاتفاقيات والمعاهدات ، وبالتالي فمن غير المتوقع أن تشهد العلاقات الخارجية ثورة سريعة شبيهة بالثورة على الواقع الداخلي .

٥- وربما من العوامل النافعة التي يمكن أن تخدم دول " الربيع العربي " هي السعي لإيجاد تحالف مشترك بينها يطرح رؤية جديدة لها في ميدان العلاقات الخارجية وتنسيق المواقف الدولية والإقليمية بما يجعل منها رقماً صعباً جديدا في المعادلة الإقليمية والدولية .

٦- إن الصراع الداخلي هو من بين العوامل الخطرة التي تهدد عمليات التحول والانتقال السليم لواقع جديد في بلدان " الربيع العربي "،وإن مشاكل النفوس هي عامل تهديد حقيقي يجب أن لا يستهان به .. لا يسقط حاكم مستبد طاغية إلا وترك خلفه مئات الطغاة ممن يسعون جاهدين لتولي السلطة وانتهاز الفرصة ، حتى وإن كانوا من ضمن من اصطف لإسقاط ذلك الحاكم في يوم من الأيام ، ولكن النظام

وحده ، وتشريع القوانين وحمايتها بالسلطة الرقابية هي الكفيل الحقيقي لإفشال محاولات وأد حركات التغيير والعودة إلى المربع الأول .

٧- إن القوى الإسلامية [٧١] اليوم أمام اختبار وتحد جدي ، وعليهم بأن لا يغتروا بالدعم الجماهيري الحالي والتأييد ، فإن أداءهم هو الفيصل في ديمومة ذلك الدعم من عدمه ، وإن لا تبعدهم السلطة عن جماهيرهم ، وأن يتعالوا من رغبات النفوس وغايات الوصول ، لأن الله تعالى سيتولاهم بالتغيير كما استبدل آخرين غيرهم ((كذلك أورثناها قوما آخرين)) .. صدق الله العظيم [٧٢] .

وهنا ، وبالرغم من كل ما تم الإشارة إليه ، لا بد من إدراك الحقيقة بشكل واعٍ ، بالافتراض جدلا أن القادم السيئ الذي أفرزته النتائج لا مفر منه لأسباب ؛ منها اصطفاف القوى التي ترى في استمرار التقدم تحقيقا لطموحات الجماهير المشروعة الذي خرجت في سبيله ، وهذا يهدد خططها ومنهاجها وأهدافها المرسومة بالضد من ذلك ، أليس من الأجدر ، على الأقل ، أن يكون التهيؤ ملزما وواعيا أيضا ، من خلال إيجاد آليات جديدة لتحقيق رغبة الجماهير في السير بالثورة إلى أمام دون توقف وانتظار ، وسد الطريق أو عرقلة المشروع المعادي الذي سيكون قاعدة للانقلاب وبلباس جديد وقوى جديدة تحاول تجيّير النتائج لصالحها وصالح برنامجها المموه ظاهريا بالسياسة والإسلام الليبرالي ، لكنه في جوهره بالضد تماما من مفهوم الدولة المدنية الديمقراطية التعددية [٧٣] .

وأخيرا وليس آخرا ، فإن تجربة حركات التغيير العربية تجربة فتية ، والطريق المليء بالصعاب والمعوقات طويل وشاق ، وإن اقتلاع جذور الدكتاتورية والاستبداد السابق عملية مضنية ومعقدة ، تزداد تعقيداتها بسبب الرغبات والأهواء الشخصية والمطامح والأطماع الحزبية ومغريات التخلي عن الثوابت والمبادئ ، فضلا عن خطورة الصراعات الداخلية في ظل تجاذبات دولية ومخططات إقليمية ومشاكل داخلية ، ومطالب للجماهير الثائرة أُهملت عقودا طويلة ومريرة من الزمن [٧٤] ، ونحن والعالم بالانتظار لما ستؤول إليه مجريات الأحداث ، سواء بالبلدان التي أطاحت بنظمها الاستبدادية أو بالأخرى (مثل سوريا) [٧٥] التي لا زالت تنتظر أملا يلوح في الأفق ، علها تلحق بر كب حركات التغيير المستمرة في منطقتنا الثائرة ضد الظلم والطغيان .. ((إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)) .. صدق الله العظيم .

الخاتمة

دللت المعلومات الواردة في هذا البحث على طبيعة المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها منطقتنا العربية بفعل حزمة متشابكة من التبدلات والتحولات الجوهرية.

لقد حددت عمليات التغيير شهدتها بلدان " الربيع العربي " عددا من المفاهيم ذات الأبعاد الاستراتيجية من قبيل إطاحة الشباب الثائر ، وتحت أصعب الظروف ، بأنظمة الحكم الشمولية الدكتاتورية رغم ما تمتلكه هذه الأخيرة من مقومات للبقاء لفترات طويلة ، لكن إرادة الشعوب تفوقت على إرادة الحكام بعزيمة وإصرار واضحين .. كما أكدت حركات التغيير على طبيعة المرحلة القادمة التي ستشهد النهاية الحتمية لنظام الحزب الحاكم المتفرد بالسلطات واتخاذ القرار ، من خلال الجنوح نحو التعددية والمشاركة بالرأي والسلطة ، وإبراز دور المنظمات الإنسانية وحقوق الإنسان ، والعمل على إيجاد الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية .

ومن جانب آخر ثمة مؤثرات خطيرة على بعض من نتائج حركات التغيير في بلدان " الربيع العربي " وانعكاسات ذلك على واقع المجتمعات العربية التي ضحت بالكثير من أجل أن تصل إلى أهدافها المرجوة ؛ منها عمليات الصراع الداخلي بين الثائرين وكأن واقع الحال يشير إلى عمليات استئثار جديدة بالسلطة ، والعودة إلى المربع الأول ، بالتزامن مع المحاولات المستمرة لقوى الاستعمار الغربي للوثوب والهيمنة على مقدرات المنطقة وتطلعات شعوبها ، والعمل على إيقاف اندفاع الجماهير العربية عند الحد الذي وصلت إليه ، إن لم يكن بالإمكان تحييدها أو العودة بمرتكزات الثورة إلى الوراء ، وبأي ثمن كان .

ومهما يكن من أمر ، ولاستحالة تقدير وتوقع ما يمكن حدوثه على المدى المنظور القريب من نتائج واقعية وملموسة تمخضت وتتمخض عن حركات التغيير العربية ، فإن هذه المتغيرات برغم إيجابياتها الاستراتيجية المتمثلة في إسقاط الأنظمة الديكتاتورية ومحاولات اقتلاع جذورها باعتبارها عملية معقدة ومضنية ومكلفة ، إلا أن هذه الحركات لا تزال ، من وجهة نظر المحليين والسياسيين ، حركات وليدة تحتاج إلى وقت ليس بالقصير كي تنضج ، ويصبح بالإمكان الوقوف على أبرز وأهم نتائجها السياسية والاقتصادية ، وانعكاسات كل تلك المتغيرات على واقع الحياة المجتمعية لدى شعوب المنطقة برمتها .. ونحن لا زلنا كمنطقة وشعوب ننظر ونترقب ، والفوز والنجاح لمن يتعلم من دروس الماضي ليرقى ببلده وشعبه نحو القمة المشبعة بمفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان واحترام حقوق المرأة والحريات السياسية كواقع فعلي لا نظري ، والأيام القادمة ستحدد حتما مستقبل بلدان منطقتنا العربية .

الهوامش

(١) إيفود دالدر وآخرون ، هلال الأزمات . الإستراتيجية الأمريكية – الأوربية حيال الشرق الأوسط الكبير ، ترجمة حسان البستاني ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص٢٦٠ .

(2)Herman Finer , Dulles Over The Theosy and practice Gthis Philosophy , London , 1964 p.497.

(3) Central Intelligence Agency (C.I.A.) , prospects for An Inclusive middle East Defense Organization , copy No.1 ,pp.141-145.

(٤) عدي علي العبيدي ، الثورات العربية بين تحارب الماضي وتحديات الحاضر ، " الرائد " (مجلة)،العدد،(٧٢)، السنة السابعة ، بغداد ، كانون الأول ٢٠١١ ، ص٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٦) أبدت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على حكم البيت الأبيض بعد نهاية الحرب العالمية الثانية اهتماماً ملحوظاً بمنطقة المشرق العربي ، كما اهتمامها بغرب أوربا وجنوب شرق آسيا ، بل ويزيد أهمية على اعتبار ان هذه المنطقة من وجهة النظر الأمريكية هي الأكثر تعرضاً لخطر الشيوعية ، فضلاً عن ان هذا الإهتمام قد يكون ناتجاً عن ضغوط يهودية لتشجيع الأمريكان على استثمار رؤوس أموالهم في هذه المنطقة الغنية من العالم . وبذلك شهدت المنطقة العربية حالة من الصراع وتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي ، وطرحت مشاريع وأحلاف غربية تحقق أو تستكمل الأهداف التي يسعى اليها كل طرف من الأطراف المتنافسة .

ينظر : مؤيد محمود حمد ،((سياسة الأحلاف الغربية وانعكاساتها على الوطن العربي ١٩٤٥-١٩٥٨))، " سرّ من رأى" (مجلة) ، العدد (٣٣) ، المجلد السادس ، السنة (السادسة) ، كلية التربية / سامراء ، تشرين الأول ٢٠١٠ ، ص١١٧ .

(٧) للتفاصيل عن أول إنقلاب عسكري أطاح بالحكومة المدنية في تركيا .. ينظر " أحمد نوري النعيمي وحسين علي الجميلي ، النظام السياسي في تركيا وايران ، بلا ، د.ت ، ص ص ٢٦٧-٢٩٠ .

(٨) للتفاصيل عن انقلابي ١٩٦٣و١٩٦٨ في العراق ، ينظر :عادل محمد حسين العليّان ، العراق في السياسة الامريكية المعاصرة ١٩٨٠-٢٠٠٣ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠١١، ص ص ٦٢-٩٢.

(٩) ينظر : جاسم محمد حسن العدول وآخرون ، تاريخ الوطن العربي المعاصر ، الموصل ، ٢٠٠٥ ، ص١٨٧.

(١٠) المصدر نفسه ، ص ص ٣٧٥-٣٧٨ .

(١١) اطلق هذا المصطلح على الأحداث السياسية التي شهدها العالم العربي مؤخراً والتي أطاحت بحكم الرئيس التونسي زين العابدين بن علي ، والرئيس المصري محمد حسني مبارك ، والعقيد معمر القذافي في ليبيا ، فضلاً عن تنازل الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عن صلاحياته لنائبه بموجب المبادرة الخليجية ، الأمر الذي يندرج ضمن هذا الإطار أيضاً .. كما ان الرئيس السوري بشار الأسد مرشح هو الآخر للإطاحة بنظام حكمه في أي لحظة . متابعة وانصات الباحث للتطورات التي شهدتها وتشهدها الساحة العربية منذ احتلال العراق وحتى لحظة كتابة هذه السطور (آذار ٢٠١٢) .

(١٢) متابعة الباحث لمجريات الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدول " الربيع العربي " عبر شبكة التواصل الاجتماعي ' Face Book"

(١٣) نادية المختار ، ((المشروع الأمريكي الشامل للمنطقة العربية))، " شؤون سياسية " (مجلة) ، العدد (٤) ، السنة الأولى ، بغداد ،١٩٩٥ ، ص٤١ .

(١٤) ينظر : إسماعيل صبري مقلد ، أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ص ٩-١٠.

(١٥) بهذا الصدد يشير الأستاذ الدكتور ابراهيم العلاّف مدير مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل الى ان الذي "لا يتغير يتعفن" ..ينظر ورقة عمل أ.د. ابراهيم العلاّف التي ألقاها ضمن أعمال الندوة ال(٣٣) التي أقامها مركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل يوم الخامس عشر من شباط ٢٠١٢ تحت عنوان " حركات التغيير العربية : الريادة والمسار " .

(١٦) جواد البشيتي ، في – الإقتصاد السياسي _ ل _ الربيع العربي _ ، موقع الحوار المتمدن ، العدد (٣٦٢١) ، ٢٠١٢/١/٢٨ .

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) بهذا الصدد ينظر : ابراهيم خليل العلاّف ، المواطنة والدولة المدنية والحريات وحق تقرير المصير ، موقع الحوار المتمدن ، ٢٠١١/١٢/٣١ .

(١٩) ينظر : رياض نجيب الريس ، سيناريو لمستقبل متغيرات عربية ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص ص ١٣-١٤ .

(٢٠) لاشك ان مصطلح " الشرق الأوسط " أصبح من الكلمات التي تتردد بتلقائية شديدة في الكتابات والأحاديث التي تتناول المنطقة التي يمثل الوطن العربي قلبها ، وحتى بالنسبة لهؤلاء الذين ينظرون – والحق معهم – الى المصطلح بإعتباره " دخيلاً " و " قبيحاً " من الناحية اللغوية ، بإعتبار ان قبح اللغة يعكس قبح الفكرة ، بالرغم من كل ذلك ، فإن المصطلح قد فرض نفسه – بعد أن فرضته القوى الإستعمارية الكبرى – وحتى عندما يتناول بعض الكتاب القوميين قضايا الصراع العربي – الإسرائيلي ، فإن تسرب مصطلح " الشرق الأوسط " الى كتاباتهم أصبح أمراً عادياً وروتينياً ، خاصة إذا ما تناولوا الأبعاد الإقليمية والدولية للصراع . ومن ناحية أخرى فإن محاولات " فرض نظام شرق أوسطي " أو " مشروع السوق الشرق أوسطية " حتى بالنسبة للرافضين لهذا الطرح ، يدفعهم للتعامل مع المصطلح لمناقشة أو دحض الفكرة التي هو عنوانها وشعارها . ينظر : علاء عبد الوهاب ، الشرق الأوسط الجديد ؟! سيناريو الهيمنة الإسرائيلية ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص٥١ ؛ جلال أمين ((مشروع السوق الشرق أوسطية ومشروع النهضة العربية))، " المستقبل العربي " (مجلة) ، العدد (١٧٨) ، بيروت ، ديسمبر / كانون الأول ، ١٩٩٣ ، ص ٤٢ -٤٣ .

(٢١) محمد أحمد ((الغزو الأمريكي – البريطاني للعراق عام ٢٠٠٣ م بحث في الأسباب والنتائج)) ،"جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية" (مجلة)،العدد (٣-٤) ، المجلد (٢٠) ، دمشق ، ٢٠٠٤، ص ص ١١٧-١١٨ .

(٢٢) ينظر نص مشروع الشرق الأوسط الكبير في:عبد القادر رزيق المخادمي ، مشروع الشرق الأوسط الكبير . الحقائق والأهداف والتداعيات ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٥، ص ص ١١٥-١٢٨ .

(٢٣) غازي حسين ، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكية – دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص٤٢ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص٤٣.

(٢٥) ابراهيم خليل العلاّف ، مشروع الشرق الأوسط الكبير ، الفكرة والتطبيق ، بحث منشور على موقع www.alharamain.com. ؛ زبير سلطان قدوري ، الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول٢٠٠١ (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣، ص٧١ .

(٢٦) ولأجل الإطلاع على تفاصيل الصورة القاتة التي كانت تعانيها المجتعات العربية قبل حركات التغيير .. يراجع : المصدر نفسه .

(٢٧) " المدار " (مجلة) ، العدد السادس ، السنة ألأولى ، بغداد ، ٢٥كانون الثاني ٢٠٠٤، ص ١٠ ؛ منصور عبد الكريم ، حكومة العالم الخفية ، دولة فرسان مالطة وغزو العراق ، دمشق – القاهرة ، ٢٠٠٩، ص٥٠-٥٢ .

(٢٨) ينظر : عماد جاد ، ((إسرائيل والتحريض الأمريكي ضد العراق)) " السياسة الدولية " (مجلة) ، العدد (١٥٠) السنة (٣٨) القاهرة ، اكتوبر ، ٢٠٠٢ ، ص١١٢.

(٢٩) للتفاصيل ينظر : ابراهيم خليل العلاّف ، ((الشرق الأوسط .. الشرق الأوسط الجديد .. والشرق الأوسط الكبير : رؤية تاريخية سياسية)) ، " دراسات إقليمية " (مجلة) ، العدد الثاني، السنة الأولى ، مركز الدراسات الإقليمية – جامعة الموصل ، كانون الأول ٢٠٠٤ .

(٣٠) ابراهيم خليل العلاف ، العراق والولايات المتحدة الأمريكية دراسات في التاريخ والسياسة والنفط والتعليم ، سلسلة شؤون إقليمية رقم (٧) ،مركز الدراسات الإقليمية – جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص١٣١ ؛ محمد أحمد، المصدر السابق ، ص١٣٩ .

(٣١) ابراهيم خليل العلاّف ، العراق والولايات المتحدة الأمريكية ...، ص١٤٥.

(٣٢) ازدادت حدة العداء ضد السياسات الأمريكية ، بشكل منقطع النظير في المنطقة وبقية أنحاء العالم ، وفقدت الإدارة الأمريكية مصداقيتها بسبب تبنيها للأكاذيب اليهودية التي يروج لها اللوبي الصهيوني و" إسرائيل " من خلال مراكز الأبحاث ، والتي أدت إلى توتر العلاقات الأمريكية – العربية ، والى المواجهة مع البلدان العربية والإسلامية ، وبشكل خاص مع الرأي العام الشعبي والنخب في بلدان المنطقة .. وقد قامت الإستراتيجية الصهيونية المدعومة أمريكياً ، على عملية إسقاط وإضعاف النظم العربية المعادية لها ومحاصرتها وتقسيم المنطقة الى دويلات طائفية وعرقية لأجل الحفاظ على التفوق الأمني الإسرائيلي في فيها .

ينظر : غازي حسين ، المصدر السابق ، ص٤٠؛ محمد أحمد ، المصدر السابق ، ص١٣٢ .

(٣٣) أشارت بعض من مراكز البحوث الأمريكية ، والصحف " الإسرائيلية " مبكراً الى تخوفها من عمليات الممانعة والمقاومة العراقية لقوات الإحتلال الأمريكية ، لما لذلك من خطورة وانعكاسات على مستقبل المنطقة العربية ، وانتقال ذلك حتماً الى بقية بلدانها ، مما سيعني حتماً ، اندلاع مواجهات ممانعة قوية جدا ضد الوجه الإستعماري الجديد للولايات المتحدة الأمريكية و " إسرائيل " ومن ورائهم حلفائهم من الحكام العرب .

متابعة وانصات الباحث للقاء مع الدكتور مثنى حارث الضاري على شاشة قناة الشرقية الفضائية تم بثه يوم الأحد الموافق ٢٠١٢/١/١٥ الساعة التاسعة مساءاً ضمن برنامج (حوار) وتحت عنوان ((تطور ألأوضاع ومستقبل العملية السياسية في العراق)) .

(٣٤) ينظر : غازي حسين ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

(٣٥) لقد ظهر بوضوح بأن الهدف الأساسي من الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ هو الإستيلاء على النفط العراقي ومصادر الطاقة ، والقضاء على الدولة القومية ومسح هويتها ، ورسم خريطة جديدة لذلك البلد وللمنطقة العربية ، هي أسوء بكثير من خريطة سايكس – بيكو ، وتصفية القضية الفلسطينية ، وإنجاح المشروع " الإسرائيلي " في الوطن العربي .

ينظر : المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٣٦) لقد جاءت هذه التسمية لتصبح مصطلحاً تقليدياً تم الإعداد له لمنطقة بأسرها، والتي تمتد من الساحل الأطلسي في الغرب وموريتانيا بإتجاه الشرق عبر شمال أفريقيا الى أفغانستان . ولذلك فهي تضم في طياتها الصحراء وساحل البحر الأبيض المتوسط في أفريقيا (بلدان المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان) وشبه الجزيرة العربية والعراق وتركيا وايران .

ينظر : الإنسكلوبيديا البريطانية

The New Encyclopadia Britannica ,vol .12,15th Edition , U.S.A., 1980,P.167.

(٣٧) ينظر : زكريا حسين ، إعادة صياغة الشرق الأوسط في المنظور الأمريكي ، موقع كلمات على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ضن سلسلة دار المعرفة .

(٣٨) تطرق العرب أنفسهم الى مسألة التغيير عندما كتب علماء اجتماع عرب في تقرير تطوّر الإنسان العربي الصادر عن الأمم المتحدة عام ٢٠٠٤ ما نصه : ((... إذا استمر الوضع القمعي في البلدان العربية اليوم [بعد احتلال العراق] ، من المحتمل ان

يلي ذلك نزاعاً مجتمعياً كبيراً)) وقد أصرت هيئات المجتمع المدني على أن ((الإصلاح من الداخل ... هو بديل ملائم وقابل للحياة)) أكثر من التغيير المفروض من الخارج، ولكنهم (رحبوا) أيضاً بالدعم الغربي لجهودهم المبذولة لنشر الديمقراطية في المنطقة .

ينظر : إيفو دالدر وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٠-٢٦١ .

(٣٩) رياض نجيب الريس ، المصدر السابق ، ص ص ٣٥-٣٦ .

(٤٠) ابراهيم خليل العلاّف ، العراق والولايات المتحدة .. أي مستقبل ، " الصباح " (صحيفة)، العدد (١٣٧٨) ، بغداد ، السبت ، ٣ آيار ٢٠٠٨.

(٤١) إيفو دالدر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦١.

(٤٢) إن من أهم التغيرات التي سيتم فرضها على الأنظمة العربية من قبل الولايات المتحدة الأميركية بفعل وجودها الكثيف في المنطقة ، هو تظاهر تلك الأنظمة بشيء من الليبرالية والانفتاح ، عن طريق تفعيل المشاركة مع الناس والانفتاح على ما يسمى بالنخب المتعلمة عن طريق مجالس الشورى والمؤسسات العامة ، أو من خلال العمل على توسيع القاعدة التمثيلية الشعبية لأي نظام من تلك الأنظمة .. أما فيما يتعلق بموضوع الترويج للديمقراطية ، فإن موضوع كهذا لن يتم طرحه بإلحاح ، لحساسية المبدأ في هذا البلد أو ذاك ، وعليه لن يصر الأمريكان كثيرا في طرحه ، أو ربما سيتجاهلونه بشكل مؤقت ، على اعتبار أن التغييرات الجمالية والشكلية في هذا الاتجاه ربما تكون كافية . ينظر :رياض نجيب الريس ، المصدر السابق ، ص٣٤ .

(٤٣) أحمد طه خلف الله ،سقوط العرب في الحرب على العراق، الأسباب والنتائج ، دار الكتاب العربي ، دمشق – القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص١٢٣ .

(٤٤) إبراهيم خليل العلاف ، مشروع الشرق الأوسط الكبير ... ، ص٥ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص٧ .

(٤٦) إبراهيم خليل العلاف ، المواطنة والدولة المدنية والحريات وحق تقرير المصير ، المصدر السابق .

(٤٧) ينظر : عبد الغني سلامة ، فهم أسباب الثورات العربية ونتائجها السلبية انطلاقا من فهم طبيعة المرحلة ، موقع الحوار المتمدن www.Ahewar.org العدد (٣٥٨٣) ، ٢١/ ١٢ / ٢٠١١ .

(٤٨) المصدر نفسه .

(٤٩) مهدي أبو بكر حمة علي ، الشرق الأوسط والربيع العربي : آفاق ومستقبل ، موقع الحوار المتمدن www.Ahewar.org ، العدد (٣٦١٥) ، ٢٢/١/ ٢٠١٢ .

(٥٠) ينظر الرابطان : http:// www.Ahewar.org / debat / show.art.asp? Aid = 23847 ; hhtp:// www.aawsat.com / details. Asp?

(٥١) توفيق المدني ، سقوط الدولة البوليسية في تونس ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص ص ١١١ – ١١٢ .

(٥٢) ينظر : عبد الغني سلامة ، المصدر السابق .

(٥٣) المصدر نفسه .

(٥٤) مهدي أبو بكر حمة علي ، المصدر السابق .

(٥٥) يذكر جواد البشيتي بأن علاقة الولايات المتحدة الأميركية بحركات التغيير العربية (الثورات العربية) علاقة ظاهرها الصداقة وباطنها العداء ؛ وهذا الأخير في طريقة للظهور لا محالة ، مع انتقال عمليات التغيير من الفروع إلى الجذور ، ففي قطع تلك الجذور إيذائا صريحا ومباشرا لامتداد النفوذ الإمبريالي للولايات المتحدة الأميركية داخل البلاد العربية .

للمزيد من التفصيلات ينظر : جواد البشيتي ، الولايات المتحدة تكيد ل – الربيع العربي – ! ، موقع الحوار المتمدن : www.Ahewar.org ، ٣/ ٩ / ٢٠١١ .

(٥٦) لا شك أن ثورة المعلوماتية وشبكات التواصل الاجتماعي الحديثة وانتشار الفضائيات وشبكات الانترنت والمدونات وغيرها قد سهلت الأمر على شعوب بلدان التغيير ومناضليها ، للتواصل على نحو أسرع وأوسع بعيدا عن رقابة السلطة وأجهزتها الأمنية ، فضلا عن إسهامها في تعميق الوعي السياسي وإدراك ما يدور من حولها في العالم ، ومعرفتها بحقوقها ، وحقيقة أنظمتها التي بدأت تتكشف فضائحها ، ومع كل تلك التراكمات كان لا بد من التغيير ، أي انه ومع تفاقم الأوضاع وتدهورها على كافة الأصعدة ، وزيادة الوعي الجماهيري وغضبها وسخطها ، وضعف القبضة الأمنية لتلك الأنظمة نتيجة افتضاح أمرها ، وظهور علامات ضعفها وانحلالها ، كان لزاما حدوث الانفجار ، بعد أن بلغت مجريات العلاقة بين الحاكم والمحكوم مداها ، ونضجت كل الظروف المحيطة بها . ينظر : عبد الغني سلامة ، المصدر السابق .

وعن دور التقنيات الحديثة ينظر :

إبراهيم خليل العلاف ، القوى اليسارية والتقدمية وحركات التغيير العربية ، موقع الحوار المتمدن : www.Ahewar.org/٣١ /١٢ / ٢٠١١ .

(٥٧) في آذار ٢٠٠٥ أصدرت وزارة الخارجية الأميركية بيانا أسمته (بيان الحقائق) يحدد معالم مشاريع تنفذ بموجب ((مبادرة الشراكة الأميركية للشرق الأوسط)) وإنجازاتها منذ تأسيسها في سنة ٢٠٠٢ . ومما جاء في هذا البيان ((إن مبادرة الشراكة الأميركية الشرق أوسطية)) تبعث برسالة فحواها دعم الولايات المتحدة القوي لجهود الإصلاح في المنطقة ، وتحول الشراكة أكثر من (١٠٠) برنامج في (١٤) بلدا ترمي إلى تحقيق أهدافها في الإصلاح التي رسم معالمها الرئيس الأميركي بوش لدى إطلاقه لهذه المبادرة في كانون الأول ٢٠٠٢ ، وتدعم المبادرة الرئاسية التي استحدثت لمساعدة شعوب المنطقة ككل ، وعلى وجه الخصوص النساء والشباب ، إصلاحات سياسية واقتصادية وتربوية خلاقة ومستمرة وتقودها جهات محلية .. ويبدو بأن الهدف من عملية التركيز على شريحتي الشباب والنساء هو لدورها الفاعل داخل الأسرة العربية ، واستعدادهما للتغيير .

لمزيد من التفاصيل ينظر : إبراهيم خليل العلاف ، مشروع الشرق الأوسط الكبير ... ، ص ص ٧ – ٨ .

(٥٨) ينظر : مصطفى محمد غريب ، نتائج الربيع العربي بين التحقيق والتغييب ، موقع الحوار المتمدن : www.Ahewar.org ، العدد (٣٦٥٥) ، ٣/٢/ ٢٠١٢ .

(٥٩) برأينا أن حركة التغيير في ليبيا ما كانت لتنجح على الإطلاق ، لولا تدخل القوات الأجنبية ، الأمر الذي يجب أن تتم الإشارة إليه في كل حين .

(٦١) مهدي أبو بكر حمة علي ، المصدر السابق .

(٦٢) مصطفى محمد غريب ، المصدر السابق .

(٦٣) ينظر : خميس التوبي ، (الربيع العربي) تحول إلى (خريف)؟ ، موقع وار RNA وكالة أنباء الرابطة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) www.mewsa.net ١٩/ ٣/ ٢٠١٢ .

(٦٤) ينظر : استعراض لكتاب (ميشائيل لودرز) ، الصحفي الألماني والخبير في شؤون الشرق الأوسط والمعنون : " أيام الغضب " المتاح على موقع قنطرة Ar.qantara.de ، ٢٥/ ١٢/ ٢٠١١ .

(٦٥) ينظر : مصطفى محمد غريب ، المصدر السابق .

(٦٦) المصدر نفسه .

(٦٧) ينظر : استعراض لكتاب ميشائيل لودرز ... ، المصدر السابق .

(٦٨) ماجد السامرائي ، من قطف الثورة وطمرها في الماضي ؟ ، " السفير" (صحيفة) ، العدد (١٢١٣٧) ، m.assafir.com ، ١٧/ ٣/ ٢٠١٢ .

(٦٩) خميس التوبي ، المصدر السابق .

(٧٠) ينظر : عدي علي العبيدي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣ – ٢٤ .

(٧١) أغلب من تسلم السلطة (المؤقتة) في بلدان " الربيع العربي " هم من التيارات الإسلامية التي لطالما ناهضت حكامها وسياساتهم عقودا من الزمن .

(٧٢) عدي علي العبيدي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٧٣) مصطفى محمد غريب ، المصدر السابق .

(٧٤) عدي علي العبيدي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٧٥) إن ملف سوريا ليس كملف تونس أو ليبيا ، لارتباطه بملفات إقليمية قد تؤثر على الوضع في العراق المتوتر أصلا ، والخليج العربي الذي يحاول دخول عالم النهضة الاقتصادية ، ولبنان التي تهددها الحرب الأهلية بين الآونة والأخرى .
ينظر : سعد شاكر ، ((الجامعة العربية تطالب الأسد بتفويض صلاحياته (تقرير)))، " الرائد "، (مجلة) ، العدد (٧٤) ، بغداد ، شباط ٢٠١٢ ، ص٢٤ .